

المبحث الثاني .

أسلوب البحث الخاص

يتحدد نطاق هذا الأسلوب بدراسة التكون الجسماني للمجرم ، من خلال البحث في ظروفه البيولوجية ، والنفسية ، والعقلية ، وقد خصصنا لهذا المبحث مطلبين للبحث في الظروف الخاصة بالمجرمين لمعرفة مدى تأثير تلك الظروف على تصرفاتهم وسلوكياتهم المخالفة للقانون ، وما هو دورها في حدوث الظاهرة الإجرامية ، وكالاتي :-

المطلب الأول

الدراسة البيولوجية

تهتم هذه الدراسة بالبحث في اعضاء المجرم الداخلية والخارجية ، فقد تواتر الاعتقاد منذ أمد بعيد بأن هناك علاقة تربط ما بين التكوين الطبيعي وسماته البيولوجية وبين ظاهرة الإجرام ، فلكل مجرم نمط بيولوجي مختلف يميزه عن غيره من الناس ، والذي يتمثل بشذوذ في تكوينه الطبيعي ، تحدد له خصائص بيولوجية من شأنها التأثير في سلوكياته فضلاً عن تحديدها لسلوكه الإجرامي^(١) . أكدت هذه الدراسة على أهمية الانثروبولوجيا التفاضلية والتي من خلالها تتم المفاضلة ما بين الاشخاص من ناحية الاشكال الخارجية لأعضاء الجسم ومدى تأثيره في تكوينهم النفسي ومشاعرهم واحاسيسهم ، كما أظهرت الابحاث العلمية اهمية التكوين النفسي للفرد الذي يرتبط بالغدد الصماء ، إذ بينت تلك الابحاث مدى تأثير تلك الغدد على سلوك الافراد وتصرفاتهم .

تعتمد هذه الدراسة على إجراء الفحص الطبي الكلي للأعضاء الداخلية والخارجية للمجرم للبحث عن وجود خلل يعتره والذي قد يدل على أنه السبب المباشر للسلوك الإجرامي .

(١) د. أسحق إبراهيم منصور ،مرجع سابق ،ص ٢١ .

المطلب الثاني

الدراسة النفسية والعقلية

مضمون هذه الدراسة إن سبب السلوك الإجرامي يكمن في وجود عيب أو خلل نفسي ، أو مرض عقلي من شأنه السيطرة على ارادة المجرم ، فالجريمة أذن هي حدث طارئ ناتج عن الصراع الداخلي الكامن في نفس المجرم والمسيطر على ارادة ، وذلك لتعارض مصالحه الشخصية مع مصالح المجتمع ، نتيجة لعدم احترامه للمبادئ الاجتماعية السامية ، وفشله في تحقيق غاياته ، وممارسة هواياته بطرق مشروعة .

*يهتم علم النفس الجنائي بدراسة الحالة النفسية للمجرمين ؛ وتحديد نسبة ذكائهم ، ومدى الخلل الذي يصيب عواطفهم وغرائزهم، وكان الاسلوب المتبع في المرحل الأولى يتمثل بجمع البيانات والمعلومات عن المجرم عن طريق الاستبيان أو المقابلة ، ومن ثم ترتيبها وتنسيقها بغية استخلاص أسباب ارتكاب السلوك الإجرامي .

وقد تم إنشاء أول معهد للتجارب النفسية في مدينة (لايبزك) الالمانية عام ١٨٧٩ ، وكان لهذه التجارب دوراً كبيراً في تفسير الظواهر التي يتعذر دراستها عن طريق الوسائل العلمية الطبيعية .

* تستهدف الدراسات النفسية والعقلية فحص مستويات الذكاء والميول والاهواء الغريزية، أي الناحيتين الشعورية والعاطفية عن طريق الأجهزة والآلات والوسائل الدقيقة لرصد انفعالات المجرم وغيرها من المسائل النفسية المختلفة^(١) .

* أن من أشهر الاساليب المستخدمة لمعالجة المرضى نفسياً هي الإيحاء والتنويم المغناطيسي ، وتفرغ الانفعالات المكتومة ، والتحليل النفسي .

(١) د. محمد جبار شلال ، مرجع سابق ، ص ٦٥-٦٦ . و ينظر ايضاً د. سليمان عبد المنعم ، مرجع سابق ، ص ٢٥١-٢٧٠ .

الباب الثاني

المذاهب المفسرة للسلوك الإجرامي والعوامل المؤدية إليه

نخصص هذا الباب للبحث في المذاهب المفسرة لطبيعة السلوك الإجرامي ، وكل مذهب بحسب لعامل الذي اعتمده في التفسير ، و من ثمّ سنبحث في العوامل المؤدية إلى السلوك الإجرامي ولهذه العوامل نوعين عوامل فردية أصلية ، وعوامل مكتسبة وعليه نقسم هذا الباب إلى فصلين ، نخصص **الفصل الأول** المذاهب المفسرة للسلوك الإجرامي، ونخصص **الفصل الثاني** للعوامل المؤدية للسلوك الإجرامي وكالاتي :-

الفصل الأول .

المذاهب المفسرة للسلوك الإجرامي .

أختلف العلماء بخصوص تفسير الظاهرة الإجرامية ، وذلك لاختلاف الاسباب التي أدت إليها ، فهي عبارة عن مجموعة من الدوافع الداخلية والخارجية التي تتحد مع بعضها فتكونها وتلقي بها في احضان المجتمع . ولقد برزت ثلاثة مذاهب لتفسير السلوك الإجرامي ، الأول يسمى المذهب الفردي ويتعلق بالدراسات البيولوجية والنفسية والثاني يسمى المذهب الاجتماعي ويخاص بالدراسات الاجتماعية ، والثالث يسمى المذهب المختلط ويتضمن مجموعة من الدراسات ذات الطابع التكاملي، وعليه سنبحث في هذا الفصل وفقاً للمخطط المدرج في أدناه وكالاتي :-

الفصل الأول .

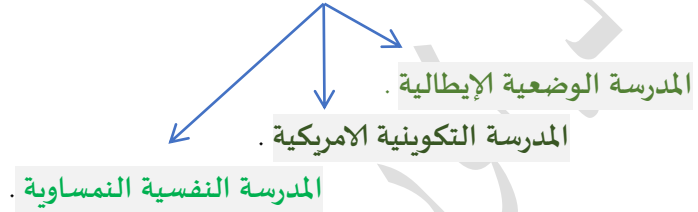
المذاهب المفسرة للسلوك الإجرامي

ويقسم إلى ثلاثة مباحث وهي :-



المبحث الأول المذهب الفردي

برز ضمن هذا المذهب ثلاثة مدارس وهي :-



أهتمت المدرسة الوضعية بدراسة العوامل البيولوجية العضوية والوراثية في تفسير السلوك الإجرامي وكذلك الحال بالنسبة للمدرسة التكوينية فإنها لم تختلف كثيراً في دراساتها عن الدراسات التي بحثتها المدرسة الوضعية ، أما بالنسبة للمدرسة النفسية فإنها ركزت على دراسة النفس وتحليلها لمعرفة الأسباب المؤيدة للجريمة للوصول إلى التفسير الصحيح ، وعلى الرغم من الجهود المبذولة من قبل هذه المدارس إلا أنها لم تسلم من سهام النقد ، وعليه سنخصص لكل مدرسة من المدارس المذكورة مطلب خاص للبحث في مضمونها من خلال تقسيم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب وكالاتي :-

المطلب الأول .

النظرية الوضعية الإيطالية .

برز العديد من العلماء ضمن المدرسة الوضعية ، وقد حاول كل من خلال أبحاثه التوصل إلى التفسير الصحيح للسلوك الإجرامي ، لمعرفة الأسباب التي دفعت الجاني إلى ارتكاب جريمته ، و أن أول نظرية برزت بالظهور هي **نظرية العالم لومبروزو** ، إذ يرجع له الفضل في تأسيس هذه المدرسة إلى الطبيب الإيطالي سيزار لمبروزو والأستاذان أنريكو فيري ورفاييل كاروفالو ، ويعد الطبيب لومبروزو هو أول من ركز

على دراسة شخصية المجرم على أساس علمي سليم ، وعليه نخصص هذا المطلب للبحث في مضمون المدرسة الوضعية و موقف الفقه منها في فرعين وكالاتي :-

الفرع الأول .

مضمون النظرية الوضعية .

أستنتج العالم لومبروزو :من خلال الابحاث والدراسات التي اجراها على مجموعة من المجرمين وغير المجرمين ، بأن المجرمين يتميزون عن غيرهم من الاشخاص بمجموعة من الصفات العضوية والنفسية ، فمن **الناحية العضوية** يتميزون بأوصاف غريبة لعل من أهمها :-

- كثافة الشعر في الرأس والجسم .
- ضيق مساحة الجمجمة .
- بفيكن ضخمين.
- حجم الأذنين اللتين تتميزان بالقصر أو الطول و بروزهما بشكل غير طبيعي إلى الخارج.
- شكل الاسنان غير منتظم .
- الطول المفرط للأصابع والاطراف .
- البلوغ الجنسي المبكر .
- احتواء جماجمهم على تجويف في مؤخرتها ، يشبه التجويف الموجود لدى بعض الحيوانات كالقردة^(١) .

ومن **الناحية النفسية** والعقلية والمزاجية للمجرمين فقد استنتج الطبيب لومبروز من خلال ما لاحظته من علامات الوشم الموجودة على أجسام المجرمين بأنهم يتصفون بالآتي :-

(١) د. سميرة أقرورو ، تقديم د. محمد جوهر ، الوجيز في أسس علم الإجرام و أهم مدارسه ، ط١ ، ٢٠١٥ ص ٤٢ - ٤٣ .

- الاحساس الضعيف بالألم .
- عدم شعورهم بالشفقة .
- الغرور .
- سيطرة الكسل واللامبالاة على تصرفاتهم .
- سهولة الاستثارة والاندفاع .

يعد المجرم بالفطرة أو بالميلاد محوراً لنظرية العالم لومبروز ، فهو الشخص الذي يولد وتولد معه نزعة الإجرام ، وقد بين لومبروز في كتابه المعنون "المجرم بالميلاد" بأن هناك علاقة تربط ما بين المجرم والحيوان عندما اعد النموذج الاجرامي الخاص بنظريته ، وكما بين في مؤلفه الذي كان بعنوان " الانسان المجرم " الصادر عام ١٨٧٦ ، والذي بين فيه بأن المجرم يتصف بمجموعة من اوصاف الشذوذ الجسماني التي تفيد بأنه ينتهي إلى العصور التاريخية القديمة ، لأن تصرفاته لا تأتلف والمجتمع الذي يعيش فيه ، و إنما ينتمي بتكوينه العضوي والنفسي إلى الماضي . وقد صنف لومبروز المجرمين إلى :-

- ١- **المجرم المجنون** : وهو المجرم الذي يرتكب الجريمة لتأثره بالمرض العقلي الذي يدفعه إجباراً ومن دون اختيار إلى ارتكاب الجريمة ، ويندرج تحت هذا المسمى المجرم الهستييري ومدمني الخمر والمخدرات .
- ٢- **المجرم الصرعي** : هو المجرم الذي يرتكب جريمته وهو تحت تأثير الصرع الولادي ؛ الناتج عن ضمور بعض العضلات التي لها تأثير مباشر على اعصابه ، والتي قد توصله إلى حد الجنون .
- ٣- **المجرم بالصدفة** : وهو المجرم الذي يرتكب الجريمة تحت تأثير الضغوطات الخارجية الطارئة التي لا تمكنه من ضبط نفسه ، كالإدمان على الكحوليات ، والحاجة الملحة ، أو حب التقليد أو حب الظهور أو يرتكبها وهو تحت تأثير الاغراء الشديد ، وسرعان ما يتراجع هذا المجرم عن رغبته في الاجرام لا سيما أن تمت معاقبته بعقوبات بديلة بعيدة عن القسوة ، بالإضافة إلى ابعاده عن الاختلاط بالمجرمين الخطرين حتى لا يؤثر على سلوكياته .
- ٤- **المجرم المعتاد** : هو المجرم الذي يرتكب الجريمة تحت تأثير الضغوطات البيئية والاجتماعية ، كإدمان الخمر ، البطالة ، الفقر ، أو الاختلاط السيء بأشخاص

سيئين منذ الصغر . فهو مجرم بالاكتساب وليس بالميلاد ، وغالباً ما تكون جرائمه بسيطة كجرائم الاعتداء على الاموال ، وكثيراً ما تكون للعقوبة السالبة للحرية دوراً في إصلاح المجرمين من هذا النوع .

5- **المجرم بالعاطفة** : وهو المجرم الذي يرتكب جرائمه تحت تأثير الانفعال الشديد والحساسية المفرطة و العاطفة الجامحة ، نتيجة الحب الشديد أو الكره الشديد أو الغيرة أو الحقد ، وغالباً ما تكون جرائمه سياسية ، أو من جرائم الاعتداء على الاشخاص وسرعان ما يندم عقب ارتكابه للجريمة ما قد يدفعه ذلك إلى تعويض الاضرار الناجمة عن الجريمة ، أو الابتعاد عن مكان الجريمة ، أو أن يقوم بالانتحار .

6- **المجرم السايكوباتي** : وهو المجرم الذي يتميز بعدم قابليته على الاندماج في المجتمع الذي يحيط به ، مما يدفعه ذلك إلى ارتكاب الجريمة وخرق القوانين .

الفرع الثاني .

موقف الفقه من النظرية الوضعية .

وعلى الرغم الجهود التي بذلها الطبيب العالم الإيطالي لومبروزو في دراسة شخصية المجرم لتفسير سلوكه الإجرامي ، إلا أن نظريته قد تعرضت لمجموعة من الانتقادات المنهجية والموضوعية لعل من أهمها :-
أولاً: الانتقادات المنهجية :

-محاولة الطبيب لومبروزو في تعميم استنتاجاته التي توصل إليها على الرغم من تعلقها بحالات فردية .

- عدم التثبت من صحة النتائج التي توصل إليها في وقت سابق .

- عدم قدرته على إثبات العلاقة ما بين الإجرام بالميلاد والظاهرة الإجرامية كون الظاهرة تختلف من وقت لآخر ومن مكان لآخر .

ثانياً: الانتقادات الموضوعية فهي :-

- اعتماده بصورة أساسية على مظاهر التكوين العضوي باعتبارها من الاسباب المباشرة للجريمة ، واغفال دور العوامل البيئية والاجتماعية في تحفيز المجرم على ارتكاب الجريمة . فالمظاهر الجسدية ليست قادرة لوحدها على تحريك الصبغة

الاجرامية الكامنة في نفس الجاني ، كما أثبت العالم انريكو بأن اختلاف الجمجمة حجم ووزن الجمجمة ليس له دوراً في الإجرام لا من بعيد و لا من قريب ، كما أن هناك بعض المتخلفين عقلياً الذين يزيد وزن جماجمهم عن ٢٩٠٠ جرام ،خلافاً لقول الطبيب لومبروزو الذي قال بأن المتخلفين عقلياً يكون وزن جماجمهم أقل من وزن عن الاشخاص الطبيعيين ، ما أدى ذلك إلى تراجع لومبروزو فيما بعد عن قوله بأن الصفات الاجرامية المذكورة سابقاً توجد لدى ٣٠ بالمئة من المجرمين وليس ٧٠ بالمئة .

أما بالنسبة لنظرية العالم جورنج ، فقد تضمن مجموعة من الدراسات التي أجراها الطبيب شارلس جورنج وهو طبيب بريطاني دراسات احصائية مقارنة بدأت سنة ١٩٠١ على ٣٠٠٠ عينة متنوعة من المجرمين المحكوم عليهم ، تشمل البعض من طلبة الجامعات و من الراقدين في المستشفيات البريطانية ومن الضباط في الجيش البريطاني ، ومن المهندسين ، كان يهدف من خلال دراسته اثبات ما توصل إليه العالم لومبروزو بخصوص علامات الارتداد الرجعي ، وقد توصل العالم جورنج بأنه لا يوجد أي شذوذ في الملامح الخارجية يميز المجرمين عن غيرهم ، إلا أنه اكتشف بأن المجرمين يتميزون عن غيرهم بنقص في الوزن وقصر في القامة ، وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها الاستاذ جورنج عند دراسته لحالة المجرمين محل الدراسة ، إلا أن نظريته قد تعرضت للعديد من الانتقادات كونه قد ركز على دور الوراثة في السلوك الاجرامي دون العوامل الأخرى ، والانتقادات هي :-

- اقتصرت دراسته على الذكور دون الإناث ما يعني بأن نتائج الدراسة تنطبق على الذكور دون الاناث ، فضلاً عن ذلك فإن الميل إلى الاجرام يجب أن يكون موروثاً بنسبة متساوية لدى الاناث والذكور .
- ركز في دراسته على بعض العوامل البيئية الدافعة للسلوك الاجرامي ولم يركز على العوامل البيئية الأخرى ، وهذا بدوره يؤثر على دقة النتائج التي توصل إليها من خلال دراسته الاحصائية المقارنة .
- بين من خلال دراسته أن النقص البدني يؤدي إلى سلوك غير اجتماعي لفشل المجرمين في تحقيق متطلباتهم الاساسية بالطرق المشروعة ، وهذا

رأي غير مقبول ، لأن القوة البدنية ليست هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق الانسان لغاياته بالطرق المشروعة هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لا يمكن القول بأن كل من ضخم الجسم هو من يمتلك القوة البدنية ونحيل الجسم لا يمتلكها ، لأنه لا يوجد علاقة ما بين قوة البدنية وشكل الجسم.

المطلب الثاني .

النظرية التكوينية .

ركزت هذه المدرسة على دراسة التكوين الداخلي للمجرم ، وقد جاءت بذات المضمون الذي احتوته المدرسة الوضعية ، و أن البحث في مضمون هذه المدرسة وموقف الفقه منها ، يتطلب تقسيم هذا المطلب إلى فرعين ، نخصص الفرع الأول لمضمون النظرية التكوينية ، والفرع الثاني لموقف الفقه منها ، وكالاتي :-

الفرع الأول .

مضمون النظرية التكوينية .

برزت هذه المدرسة بظهور نظرية العالم هوتون ، إذ يتفق استاذ الانثروبولوجيا بجامعة هارفارد الامريكية هوتون في نظريته مع المضمون الذي جاءت به نظرية العالم لومبروزو من خلال تركيزه على التكوين الجسماني و الدور الكبير الذي يؤديه في الانحراف ، وقد أنتهى هوتون من خلال ابحائه إلى نتائج وهي بأن كل طائفة من المجرمين تتميز بشذوذ بدني يختلف عن طائفة المجرمين الآخرين الذين يقومون بارتكاب جرائم من نوع معين ، فبالنسبة لمرتكبي جرائم القتل فإنهم يتصفون بطول القامة والجسم الضعيف ، أما مرتكبي الجرائم المخلة بالشرف فإنهم يتصفون بقصر القامة وبالضخامة ، أما مرتكبي جرائم الغش والخداع فإنهم يتصفون بالطول والضخامة .

الفرع الثاني.

موقف الفقه من النظرية التكوينية .

- وجهت لنظرية هوتون العديد من الانتقادات أهمها :-
- وجهت لنظرية هوتون ذات الانتقاد الموجهة لنظرية لومبروزو بخصوص دور التكوين الجسماني في الانحراف ، لان الصفات الانحطاطية لا تدفع المجرم مباشرة إلى هاوية الاجرام .
 - اختلف العالم هوتون عن العالم لومبروز من حيث المجموعة الضابطة التي اجري عليها الدراسة كونها تتعلق بالمجرمين الذين حكم عليهم القضاء بالإدانة ، والذي يعتبر اختيار غير سليم ايضا لأن هذه المجموعة لا يمكن تعميمها على جميع المجرمين الذين لم يتم إلقاء القبض عليهم ، والذين لم تتمكن الجهات القضائية من اكتشاف جرائمهم .
 - ركزت هذه النظرية بشكل مبالغ به فيما يتعلق بصفات المجرمين الخارجية كالقصر أو الضخامة أو الطول أو القوة البدنية وغيرها من المظاهر الشكلية الخارجية ، والتي اشارت إلى أنها تختلف من مجرم لآخر بحسب الطائفة الإجرامية التي ينتمي إليها أن كان من مرتكبي جرائم القتل أو الجرائم الجنسية وغيرها من الاصناف الجرمية الاخرى .
 - ركز هوتون على طائفة معينة من الافراد ، وجعل من النتائج التي توصل إليها من دراسة تلك العينة شاملة لجميع الافراد المنتمين للمجتمع الذي ينتمي إليه وهذا استنتاج غير منطقي ، لأن النزعة الاجرامية إذا ما توافرت في شخص فإنها لا تعني بتوافرها حتماً في شخص آخر ، فعلى سبيل المثال من يشاهد زوجته وهي متلبسة بالزنا قد يعمد الزوج على قتلها في الحال لاحتوائه على خطورة اجرامية برزت عند توافر الظروف المناسبة لظهورها ، اما بالنسبة لزوج أخرفلا يرتكب جريمة قتل بحق زوجته الزانية وإنما يعمل على تسليمها لمركز الشرطة للتحقيق معها بخصوص جريمتها ، ويتأتى هذا التصرف من قدرة الزوج وقابليته على التحكم بنفسه من دون ارتكاب أي خطأ يعرضه للمسؤولية الجزائية فضلا عن ذلك قدرته على

التحكم مع الظروف المحيطة بها وعدم تأثيرها على تصرفاته ، لأن النزعة
الاجرامية غير ملازمة له .

دكتوراس الرديمي